Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

فقه الخلاف بين المسلمين

دعوة إلى علاقة أفضل

بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة

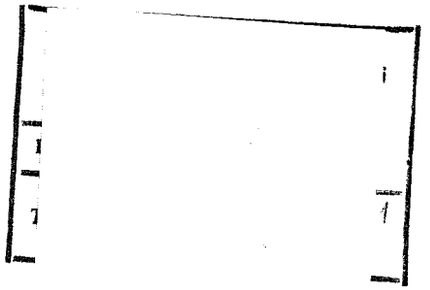

إعداد

الدكتور : ياسر حسين برهامي

ح دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

برهامي ، ياسر حسين

فقه الخلاف بين المسلمين.

..... ص ؛ ..... سم ؛ (قضايا منهجية ؛ ٦)

ردمك ٣ - ٣٨ - ٧٤٨ - ٩٩٦٠

١ - العبادات (فقه إسلامي) أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٢٥٢ ١٥/٠٥٣٢

رقم الإيداع : ١٥/٠٥٣٢

ردمك ٣ - ٣٨ - ٧٤٨ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار المسلم للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف : ٤٩٣١١٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فالخلاف بين الناس قدر إلهي وطبيعة بشرية ، لكن منه السائغ ، ومنه غير السائغ .

والتعامل معه يحتاج إلى فقه وبصيرة ، وإلا كان المسلم في حيرة وتيه .

وإذا كان المسلم يحتاج إلى فقه في معاملته مع ربه تعالى .

فإنه كذلك بحاجة إلى فقه في معاملته مع الناس .

والناس في جملتهم صنفان : مؤمنون وكفار .

والتعامل مع الكافر قائم على المفاصلة والبغضاء حتى مع جود التعاون في مجالات الدنيا .

والتعامل مع المؤمن قائم في أصله على الأخوة الإسلامية والتواد والتعاطف .

كما في الحديث : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

لكن المؤمنين أنواع متفاوتة : فمنهم أهل الاستقامة والاعتدال ، ومنهم أهل البدع والخرافات ، ومنهم أهل الفجور والفسوق .

وكل نوع يندرج تحته طبقات من الناس أيضاً .

والمسلم ـ الذي يطلب الحق ـ عليه أن يعامل كل نوع بحسب مكانته .

ولأهمية هذا الموضوع جاء تأليف هذا الكتاب ـ الذي بين يديك أيها القارئ ـ إدراكاً من المؤلف لضرورة فقهه والوقوف عند مسائله ومشكلاته .

وفي ظني أن الكتاب اتخذ منهجاً وسطاً وواضحاً في التعامل مع الخلاف والمخالفين ، جامعاً بين الثبات على الأصول والمبادئ ، والمرونة التي تقتضيها العلاقات الإنسانية .

مع أمثلة تطبيقية حية تكسب البحث طراوة ، وتلقي مزيداً من الأضواء على الخلافات المعتمة .

ولعل ذلك يحقق رغبة المؤلف في إيجاد علاقة أفضل بين الاتجاهات الإسلامية .

ومهما يختلف القارئ مع المؤلف في بعض الآراء أوالأمثلة أو منهج التأليف . فسيبقى الكتاب في جملة توجهاته قائماً على سوقه .

أسأل الله أن ينفع بالكتاب والكاتب .

إنه خير مسؤول .

د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد .

تواجه الصحوة الإسلامية عقبات عديدة وعوائق مختلفة على طريق الوصول إلى هدفها المنشود بإعلاء كلمة الله في الأرض ، وتعبيد الناس لربهم وإلههم سبحانه ، والتمكين للإسلام . ومن هذه العوائق ما يكون من فعل أعداء الله من الكفار والمنافقين ، وهذه ـ رغم كثرتها وخطرها ـ ليست بعوائق حقيقية ؛ لأن الله سبحانه تكفل بهم بشرط تقوى المسلمين وصبرهم ، قال تعالى : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط** ﴾ ، ولكن المشكلة الحقيقية تتمثل في مايكون من أبناء الصحوة أنفسهم ، ولقد كانت مشكلة الاختلاف الكبير بين الاتجاهات الإسلامية المتعددة في فهم الإسلام ، وفي تطبيقه ، وفي وسائل الدعوة ومناهجها وأهدافها وأولويات العمل الإسلامي من أعظم العوائق في

طريق الصحوة ، ومما كان له أكبر الأثر في انصراف كثير من عوام المسلمين عن فصائل الصحوة الإسلامية كلها ؛ لأنهم يرونهم يختلفون في الكثير والقليل والصغير والكبير ، فيكون المبرر الشيطاني لدىٰ الشخص غير الملتزم بأن الصواب هو الابتعاد عن الجميع حتىٰ يتفقوا . وازداد الأمر سوءاً بحدوث المعارك الكلامية ، بل وبالأبدان والسلاح أحياناً ، بين الاتجاهات المختلفة مما أتاح الفرصة لأعداء الإسلام من الكفار والمنافقين لاستغلال هذا التطاحن ؛ وكما قالوا تمكنوا من اللعب علىٰ وتر التناقض بين الاتجاهات الإسلامية المختلفة لإضعاف الجميع ، وقد كان لهم ـ للأسف البالغ ـ ما يريدون أو كثيراً مما يريدون في معظم البلدان الإسلامية التي ظهرت فيها الصحوة حفظها الله وبارك فيها وهدىٰ أبناءها لسواء السبيل .

واندفع أكثر الاتجاهات الإسلامية في طريقه الذي يراه ملقياً باللوم علىٰ من خالفه في التقصير والفشل ، وزادت نبرة الحديث بين الإسلاميين حدة ، واشتعلت حواراتهم ومجادلاتهم بعبارات نارية وقذائف ملتهبة علىٰ المخالفين ، مما دفع بالبعض في محاولة لعلاج قضية الخلاف إلىٰ نبذ العمل الإسلامي الجماعي جملة ، للتخلص من خلافات الجماعات متأولاً حديث رسول الله ﷺ لحذيفة : « **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة فتموت وأنت عاض عليه** » متفق عليه ، علىٰ

هذه الجماعات الإسلامية التي لايشك هو ولا غيره في عملها من أجل الإسلام ، مع أن تأويل الحديث الذي لا إشكال فيه علىٰ أهل البدع الدعاة علىٰ أبواب جهنم ، وهم الذين يتمثلون في واقعنا في المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله كالعلمانيين والقوميين والحزبيين ، بالإضافة إلىٰ أهل البدع كالخوارج والطرق الصوفية والروافض ونحوهم ، مع أن هذا المسلك لم يغير من الأمر شيئاً ، بل ازدادت الخلافات علىٰ هذه المسألة كغيرها من المسائل ، وتوقف العمل الإسلامي في كثير من المواطن والبلاد بسبب عدم حسمها أو بسبب الاقتناع بعدم مشروعية الاجتماع علىٰ الطاعات ، فتعطلت تلك الطاعات ، التي لايطيق الأفراد القيام بها ، والتي لايمكن إتمامها بأي صورة إلاّ بالاجتماع حول قيادة واحدة وفهم واحد وعمل واحد . واندفع البعض الآخر في سبيل علاج الأمر ـ كما يظنه ـ إلىٰ التهوين من شأن الخلاف أياً ما كان نوعه ، وجعل غايته وهدفه أن يجتمع كل من انتسب إلىٰ الإسلام سُنِّيُّهم ومبتدعهم في إطار شعار واحد ومنهج فضفاض واسع يتسع للتناقضات في فهم الإسلام والعمل به في إطار قاعدة سماها ذهبية وهي أن نجتمع فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ، ونسىٰ في غمار حماسته الموقف الواجب الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من أهل البدع ، أهل الفرق النارية التي

أخبر بها الرسول ﷺ، وحتىٰ ظن البعض إمكان التقارب بين أهل السنة وبين شر أهل البدع كالرافضة أو غلاة الصوفية ونحوهم ، بل ربما قبل التقارب مع أهل البدع المعاصرة كالعلمانيين والحزبيين والديمقراطيين ، وإن لم يحظ رفاقه في الصحوة الإسلامية بنصيبهم من هذا التقارب ومن حظهم في تطبيق تلك القاعدة المسماة الذهبية . وعلىٰ الطرف الآخر لم يستوعب البعض وجود أيِّ خلاف بينه وبين غيره في أي مسألة ، وقامت المعارك ووقعت المفاصلة ، وتبادل التهم علىٰ قضايا ومسائل وسعت السلف والعلماء علىٰ مر العصور دون نقصان الحب والمودة والأخوة الإيمانية . ولقد كان لكتابات بعض العلماء الذين عرف عنهم حدة الأسلوب والنقد اللاذع لمخالفيهم من العلماء كابن حزم ـ رحمه الله ـ أثر كبير في هذا الفريق من أبناء الصحوة المعاصرة ، فاقتص نفس الطريق في التعامل مع المخالف ، ولم يتأثر بالقدر الكافي بالأسلوب الأرقىٰ والأفقه والأكثر تأدباً بآداب الإسلام العامة والخاصة الذي سلكه علماء السلف المتقدمين ، ومن سار علىٰ نهجهم من المتأخرين . وفي الحين الذي رأىٰ فيه البعض أن تعدد الجماعات الإسلامية شر كله ؛ لما يرىٰ من سلبيات هذا التعدد من الصراعات والتناقضات والمنافسات التي تجر إلىٰ كثير من المعاصي بل والكبائر ، كالغيبة والنميمة والتعصب الأعمىٰ

وغيرها ، رأىٰ البعض أن التعدد ليس بممنوع ولا مذموم ، بل ربما كان مطلوباً ، ولا يلزمنا السعي إلىٰ تحقيق الوحدة بين الاتجاهات الإسلامية ؛ لأن تعددها أمر لاحرج فيه شرعاً . وكأن هذا الرأي قدغاب عنه مايكون آثاراً سلبية نتيجة للتعدد ليس علىٰ أبناء الجماعات وسلوكياتهم ، بل علىٰ الرجل المسلم العادي الذي لم يضع قدميه بعد علىٰ طريق الالتزام .

ووسط كل هذه الآراء المختلفة حول مفهوم الخلاف وأنواعه ، وأسباب كل نوع منها وكيفية التعامل معه ، وما يسوغ منه وما لايسوغ ، تميزت الدعوة السلفية ـ بفضل الله ونعمته ـ بموقف متوسط ، وفي نفس الوقت واضح ليس بمتميع يحافظ علىٰ الأصالة ، ويحسن التعامل مع المخالف حسب درجة مخالفته ، يعرف الفرق بين الخلاف السائغ وغير السائغ ، واختلاف التنوع واختلاف التضاد ، وما يعذر فيه المخالف وما لايعذر ، ودرجة العذر ومرتبته ، وذلك حسب مادلت عليه أدلة الشرع من الكتاب والسنة ، وما نقل عن السلف والعلماء في هذه المسائل مما نرىٰ أنه لو التزمت به كل الاتجاهات الإسلامية لكان في ذلك الخير العميم في وقاية أبنائها من الانزلاق إلىٰ هاوية العصبية الجاهلية وما فيها من منكرات ومعاصي ، ولكان سبيلاً لحسن العلاقة بين هذه الاتجاهات في الوقت الذي نحافظ فيه علىٰ سلامة المنهج من الانحراف المشوه لحقائق الدين وصفاء